مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (41) العدد (3)2019
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (41) No. (3) 2019

الإباحية في شعر الشّواعر الأندلسيّات

د. وفاء جمعة *

(تاريخ الإيداع 13 / 2 / 2019. قبل للنشر في 22 / 5 / 2019)

□ ملخّص □

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها

وأُمكن عاشقي من صحن خدّي وأُعطي قُبلتي من يشتهيها

بهذين البيتين المطرّزين على عاتقي ثوبها كانت تختال كفراشة في صالونها الأدبي الأنيق دون حجاب، إنّها الأميرة الشّاعرة (ولاّدة بنت المستكفي) ، كانت جريئة في القول والسّلوك ، تجهر بمكنوناتها ولذّاتها ... لذلك عدّها الدّارسون حالة استثنائية مفاجئة في الثقافة العربيّة ، لما فيها من تجاوز عن الصّورة النّمطيّة للمرأة المسلمة ، وهي تمثّل حالة من العصيان تمرّدت فيها الأنثى على سلطة القيم الذّكوريّة التي لا تتيح لها أن تنطلق منطلقاً حرّاً في فضاء البوح الصّريح عن اختلاجات الجسد برغائبه وأشواقه ....

لم تكن ولاّدة المتمرّدة الوحيدة بل كان هناك الكثيرات من الأندلسيّات ، منهنّ من سبقنها إلى ذلك ، ومنهنّ من سرن على دربها ، وقد ملأن بذلك صفحة من صفحات الأدب العربيّ ، اصطلح على تسميتها بـ (الإباحيّة) .

الكلمات المفتاحية : الغزل ، الهجاء ، الإباحيّة ، الفحش ، المجون ....

* مدرّسة ، قسم اللّغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة تشرين ، اللاذقية – سورية .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (41) العدد (3)2019
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (41) No. (3) 2019

INhilism in the poetry of Andalusiat poetry

Dr. Wafa'a Juma'a*

(Received 13 / 2 / 2019. Accepted 22 / 5 / 2019)

□ ABSTRACT □

I Swear I deserve the highest ranks and walk my own walking and elate elatedly
I enable my sweetheart of my cheeks and I give my kiss to who desires to get it

With these two lines of poetry which are embroidered on the shouler of her dress, she was walking vainly as abutterfly in her literary gentle saloon without aveil. She is the princess poet "Wallada doughter of al-Mustakfy" she was daredevil in her saying and behaviour, declaring of her inside feelings and delights. For that the researchers considered her a saddened and exceptional state in the Arabic culture to the exceeding of the traditional photo of the muslim woman, which represents a state of rebelion of a woman on the authority of the male values which don't give her the chance to move or express freely about the body instincts and desires.

Wallada was n't the only rebelious, but there were many of Andalosiats, there were many of Andalosiats who came before Wallada and many of them followed her way . By this they filled apage of the Arabic literature pages, which were named as inhilism.

Key words: Flirtation – Satire – inhilism – obscenity – impudicity.

***Assistant Professor- Arabic department – Faculty of art – Tishreen university – Lattakia .**

مقدّمة :

تميّزت البيئة الأندلسيّة بجمال طبيعتها ، وقد وصفها مؤرّخو الأندلس خير وصف ، وقد اختصّت كل مدينة من مدنها بلون خاصّ من الجمال عرفت به عن غيرها ، كما حفلت الأندلس بالقصور الشّاهقة والمنيات الأنيقة التي شغف ملوكها وأمراؤها ببنائها ، وأسرفوا في تزيينها وزخرفتها أيّما إسراف ، وقد امتلأت هذه القصور والمنيات بالنّساء زوجات وإماء ، وبالجواري والغلمان والرّقيق الأبيض .

وفي ظلّ هذه الحياة الاجتماعية احتلّت المرأة الأندلسية مكانة عظيمة ؛ فقد ألّف الأندلسيّون كتباً كثيرة أشهرها (طوق الحمامة) لابن حزم . كما تمتّعت بقسط وافر من الحريّة ؛ أتاح لها المشاركة في جوانب الحياة الأندلسيّة كلّها ، إذ حصلت على مستوى عالٍ من التّعليم ، وباتت لها مشاركة فعّالة في الأدب والشّعر ، وعلوم اللّغة والفقه والكتابة ، وكان يعهد إليها تربية أبناء الملوك والأمراء [1] ، مثل ابن حزم الأندلسي الذي تلقّى ثقافته الأولى على يد النّساء . وقد ذكر ابن حزم المهن التي أسهمت فيها المرأة أو اختصّت بها " فمن النّساء كالطّبيبة والحجّامة ، والسّراقة والدّلالة ، والماشطة والنّائحة ، والمغنّية والكاهنة ، والمعلمة والمستخفة ، والصّناع في المغزل والنّسيج ، وما أشبه ذلك " [2] .

وقد تبوّأت المرأة الأندلسيّة مكاناً سامياً في حياة الرّجل لا يُنسى ، حفظته ذاكرة الأيّام ، ووعته سجلاّت الزّمن ؛ لذا وجدت من الرّجال إعزازاً وتكريماً حتّى غدا تقديرها واحترامها موضع تقدير المؤرّخين وإعجابهم ؛ فقد خلّد الأندلسيون المرأة إذ رأوا أنّ تأثيرها في الرّجل ليس مقصوراً على مدّة محدّدة من حياته ، بل إنّ هذا الأثر يبدأ من ولادته ، ويستمرّ حتّى وفاته [3] .

إنّ صلة المرأة بالرّجل كانت صلة احترام وإجلال لظهورها في ميدان الجدّ والعمل ، واعتراكها الحياة الاجتماعية ، وأثرها الملموس في مجالس الأدب ومختلف العلوم والفنون ، ويراها أحمد ضيف بأنها كانت أرقى وأجلّ من صورة المرأة في أوروبا [4] ، وإنّ المرأة الأوروبية لتدين بالفضل للمرأة العربية ، إذ كان احترام العرب لها مثالاً يحتذى أمام فرسان أوربا في العصور الوسطى، ولم تكن الهدايا التي يقدّمها الرّجل لمحبوبته سوى عادة شرقية ، وكذلك تذلّل الرّجل للمرأة ، وخطبه ودّها ، وتقديمها ، والتغزّل بها أدب عربي ؛ ونظراً للتّأثر العربي ، أصبح الاستمتاع بالجمال والغزل جزءاً من حياة الأوروبيين وهذه الحريّة الفكريّة هي ذاتها التي أتاحت للمرأة الأندلسية الخروج للمجتمعات [5] ، وقول الشّعر في المناسبات ، والتّصريح بالحبّ .

---

[1] صورة المرأة في الشعر النسوي الأندلسي – عصر ملوك الطوائف أنموذجاً ، أ. جمانة زلوم ، جامعة القدس – فلسطين ، مقال من مؤتمر كلية الآداب واللغات الدولي الثالث ، 24–26 آذار ، 2015 م . books.google.com .

[2] طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ابن حزم ، ت: د. الطّاهر أحمد مكّي ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط3 ، 1977 م ، باب السفير ، ص47 .

دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط3 ، 1981 م ، ص268–269 .

[3] صورة المرأة في الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف والمرابطين، رحمى عمران، د. محمد أبو ذر خليل ، مجلة القسم العربي ، جامعة بنجاب ، لاهور – باكستان ، العدد الثامن عشر ، 2011 م ، ص181 .

[4] بلاغة العرب في الأندلس ، د. أحمد ضيف ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة – تونس ، ط2 ، 1998 م ، ص35 .

[5] الرؤية الذاتية في شعر المرأة الأندلسية ، رسالة ماجستير ، فوزية عبد الله العقيلي ، إشراف أ. د. طه عمران الوادي ، جامعة أم القرى – مكة – السعودية ، 2000 م ، ص72 .

وعلى هذا فإنّ الظّروف الاجتماعيّة والحضاريّة قد ساعدت المرأة على الإسهام في مسيرة الحياة العامّة، والمشاركة في إبداع الشّعر [1] .

فقد أحصى (محمد المنتصر الرّيسوني) في كتابه الشّعر الأندلسي في الأندلس ، خمساً وعشرين شاعرة أندلسيّة موزّعة على مختلف عصور الأدب الأندلسي، وأحصى (سعد بوفلاقة) في كتابه (الشّعر النّسوي في الأندلس : أغراضه وخصائصه الفنيّة) سبعاً وعشرين شاعرةً فكان عدد الشّاعرات من الوفرة والنّضوج إذ شكّل ملمحاً بارزاً من ملامح الشّعر الأندلسي [2] والمكانة المرموقة التي نالتها الشّاعرات الأندلسيّات تدلّ على أنّ هؤلاء الشّاعرات قد شاركن في النّهضة الأدبيّة ، وأنتجن أدباً بارعاً ، وكان نصيبهنّ أكثر من نصيب أخواتهنّ في المشرق ، ولذلك عندما نبحث عن الشّخصيّات المتميّزة والمؤثّرة في الأدب الأندلسي نجد الشّاعرات اللاتي زها هذا الأدب بهنّ وزهون به ، كان شعرهنّ متلوّناً بألوان الحبّ بعيداً عن التّعقيد والالتواء في العبارات وقد ابتكرن في المعاني حيث بعض أبياتهنّ ارتقت إلى مصاف أشعار كبار الشّعراء [3] .

وهذا ما أحسّت به الشّاعرات أنفسهنّ ، فعبّرت عنه نزهون بقولها ، من المجتثّ :

إن كنْتُ في الخلْقِ أنثى فإنّ شعري مذكّر [4]

فظهرت شخصيّة هؤلاء النّساء متميّزة في المجتمع الأندلسي ، فبدت لها مواقف مشهودة في ميادين الحياة وصارت مشاركتهنّ واضحة في الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة والسّياسيّة كما حظيت – بصورة عامّة – بحريّة ومكانة مرموقة لدى الخلفاء والأمراء وسادة الرّجال ، وبما لها من النّفسيّة الدّقيقة والمشاعر المرهفة ، لم تقوَ على كتمان عاطفتها أو إضمار أحاسيسها ، فشعرها مليء بآثار هذه النّفسيّة [5] .

وقد وصف المقّري نساء الأندلس وصفاً بليغاً حين قال: "كان لهنّ اليد الطولى في البلاغة والشّعر" [6] .

ولعلّ أفضل مصدر يصف لنا المرأة في الأندلس، ما وجدناه في (الإحاطة) في وصف لسان الدّين بن الخطيب للنّساء الغرناطيّات ، وهو وصف ينسحب على معظم نساء بلاد الأندلس ، يقول : " وحريمهم حريم جميل ، موصوف بالسّحر، وتنعّم الجسوم ، واسترسال الشّعور ، ونقاء الثّغور ، وطيب النّشر ، وخفّة الحركات ، ونبل الكلام ، وحُسن

---

[1] الرؤية الذاتية في شعر المرأة الأندلسية ، ص73 . وانظر في مكانة المرأة الأندلسية :

- دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، د. الطاهر أحمد مكّي ، ص247–276 .
- شاعرات الأندلس من عصر الإمارة إلى نهاية عصر الموحّدين ، رسالة دكتوراه ، سهيلة عبريق ، إشراف أ. د. خميس حميدي ، جامعة الجزائر ، 2008–2009 م ، ص34–75 .
- المرأة في الأندلس ما بين القرنين (5–6 هـ / 11–12 م) رسالة ماجستير، وهيبة شعبان شاوش وأمينة طوطاح، إشراف أ. نسيم حسبلاوي ، جامعة : اكلي محندا ولحاج ، 2014–2015 م ، ص60 .
- مكانة المرأة في الحضارة الأندلسية (2–3) ، كمال الهلباوي ، بوابة الوطن ، www.elwatannews.com .

[2] انظر : شخصيّة المرأة الأندلسيّة الشّاعرة في السّياق الحضاري الأندلسي ، د. صلاح جرّار ، WWW.ALGHAD.COM .

– الشعر النسوي في الأندلس – ولاّدة بنت المستكفي نموذجاً ، رسالة ماجستير ، خديجة قداوي، إشراف د. عبد الرحمن بغداد ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان – الجزائر ، 2015–2016 ، ص16 .

[3] ميّزات الغزل عند الشّاعرات الأندلسيّات في ضوء النّقد النّفسي الحديث ، عبّاس إقبالي وفائزة بسندي ، إضاءات نقديّة – فصليّة محكّمة ، السّنة الخامسة ، العدد العشرون ، شتاء كانون الأوّل ، ص10 .

[4] المُغرب في حُلى المغرب ، ابن سعيد ،ت: د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1964م ، ج1 ، ص288 .

[5] ميّزات الغزل عند الشّاعرات الأندلسيّات ، عبّاس إقبالي ، فائزة بسندي ، ص10 .

[6] نفح الطيب ، المقّري ، ت: د. إحسان عبّاس ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، 1968م ، ج4 ، ص166 .

المحاورة ، إلاّ أنّ الطّول يندر فيهنّ ، وقد بلغْن من التّفنّن في الزّينة لهذا العهد ، والمظاهرة بين المُصْبَغات ، والتّنفيس بالذّهبيات والدّيباجات ، والتّماجن في أشكال الحُلى ، إلى غاية نسأل الله أن بُغضّ

عنهنّ فيها ، عين الدّهر ، ويُكفكف الخطب ، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة ... " [1] .

ومن ذلك ما كتبته ولاّدة على طرازها الأيمن ، من الوافر :

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيهُ تيها

وكتبت على الطّراز الأيسر :

وأُمكن عاشقي من صحن خدّي وأعطي قبلتي من يشتهيها [2]

ويبدو أنّ حركة المرأة في الأندلس قد زادت بعض الشّيء عمّا ينبغي لها أن تكون ، فقد روي شعر مكشوف لبعض الشّهيرات مليء بأسباب البذاءة وألفاظ السّوقة ، وأسماء عورات الجنسين على السّواء ، وكان هذا الشّعر النّسائي ينشد في المجتمعات ويحفظ ويذاع [3] .

وقد ردّ هنري بيريس هذه الحريّة أو لنقل هذه الإباحيّة في السّلوك أو اللباس إلى البيئة المسيحيّة، يقول: ولقد أسهمت المرأة المسيحيّة بأعدادها الكثيرة في تكوين جنس لا يمكن أن ندعوه عربيّاً ، ولا بربريّاً ولا صقلبيّاً ولا يهوديّاً ، أمّا الصّفة الأكثر ملاءمة له فهي أن ندعوه أندلسيّاً ... ويمكن القول : بأنّ المسيحيّات بالكاد غيّرن شيئاً من طريقة حياتهنّ، فأثّروا في أبنائهنّ، وقد تلقّوا تربية مسيحيّة على الأقلّ في الأعوام الأولى من طفولتهم[4].

وقد انعكس هذا التّفاعل الاجتماعي على الحياة الأدبيّة في الأندلس ، فأدّى إلى ظهور عدد من الشّاعرات إذ نظمت الشّاعرة الأندلسيّة في أنواع مختلفة ، وسجّلت أشعاراً رقيقة في الشّكوى وبثّ الآلام ، وفي المداعبة والظّرف ، والتّهكّم والمجون والمراسلات والشّعر القصصي ، ونظمت في الفخر والمديح ، كما تغنّت بالأشعار الغزليّة في مجالس الأنس والطّرب [5] .

ووصفت الميول والأهواء ، وما يحدث فيها من لذّة وألم العشق وأثره ، ونظمت في ميداني الفصيح والعامّي [6] . ولم تكن تكن المرأة الأندلسيّة تجد غضاضةً في نظم الشّعر في أغراضه جميعها – كما رأينا – ولم تكن تتحرّج أيضاً إذ وقفت في وجه أهجى الشّعراء هاجيةً ومتحرّشة مع استعانتها بألفاظ يتورّع الشّعراء عن استخدامها[1] .

---

[1] الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدّين بن الخطيب ، ت : محمّد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط2 ، 1973م ، المجلّد الأوّل ، ص139 .

[2] نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص205 .

[3] الأدب الأندلسي : موضوعاته وفنونه ، د. مصطفى الشّكعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط5 ، ص46–47 .

[4] الشّعر الأندلسي في عصر الطّوائف (ملامحه وموضوعاته الرّئيسيّة وقيمته التّوثيقيّة) ، هنري بيريس ، تر : الطّاهر أحمد مكّي ، دار المعارف ، القاهرة مصر ، ط1 ، 1988م ، ص255 .

[5] انظر في : مجالس الأنس والطّرب ، بلاغة العرب في الأندلس ، د. أحمد ضيف ، ص34–40 .

[6] صورة المرأة في الشّعر الأندلسي في عصري الطّوائف وبني الأحمر، رسالة دكتوراه ، عائشة إبراهيم موسى سلامة محسن ، إشراف : أ.د. فاروق الطّيّب ، جامعة أمّ درمان ، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي ، 2007–2008 م ، ص151 .

ونحن في دراستنا هذه لن نتوقّف عند دراسة الأغراض التّقليديّة التي تناولتها الشّاعرة الأندلسيّة ، وسنتوقّف فقط عند غرضين اثنين هما: الغزل والهجاء؛ لأنّ البيئة الأندلسيّة هي التي أذكت نشوءهما وتطوّرهما ؛ ولأنّهما من أهم الأغراض التي نظمت فيها ، فأمّا على مستوى الحياة العاطفيّة فقد برزت المرأة الأندلسيّة ،

فمارست الحبّ والغزل والعشق بطريقة موغلة في الصّراحة إلى حدّ الاستهتار [2] .

وفيما يتعلّق بموضوع الهجاء الذي طرقته المرأة الشّاعرة في الأندلس ، فقد أفحشت فيه وتجرّأت على ذكر العورات ، والألفاظ البذيئة التي يخجل الرّجل من روايتها كما ذكرنا سابقاً، وهذا ما استوقفنا لدراسة هذه الظّاهرة ، ظاهرة الإباحيّة هذه التي برزت في أشعار بعض الشّواعر الأندلسيّات[3] .

هذا والمنهج المتّبع في دراستنا هذه هو المنهج الوصفي التّحليلي ، الذي قد يعتمد على مناهج الدّراسات الحديثة التي يتطلّبها البحث .

الغزل :

كان المجتمع الأندلسي طبقيّاً ومتحرّراً بصورة لم يسبق لها مثيل ، كما تمتّعت المرأة بحريّة لم تعرفها بغداد في أوج ازدهارها في ذلك المجتمع المتحضّر ، ولذلك فإنّ (ابن رشد) فيلسوف الموحدين قد عاب على المشارقة حرمانهم المرأة من تمتّعها بقواها الإنسانيّة ويرى أنّ طبيعة النّساء تشبه طبيعة الرّجال ، فطالب بإعطائهنّ حريّة التّفكير ، وإفساح المجال لهنّ بالعمل [4] .

وقبله ذكر ابن حزم أنّ المرأة والرّجل سواء في قمع الشّهوات والميل إليها : " وما رجل عرضت له امرأة جميلة بالحبّ ، وطال ذلك ، ولم يكن ثمّ مانع ، إلاّ وقع في شرك الشّيطان ، واستهوته المعاصي ، واستفزّه الحرص، وتغوّله الطّمع، وما امرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة إلاّ وأمكنته حتماً مقضيّاً ، وحكماً نافذاً ... " [5] .

والحقيقة أنّ الاختلاف الطّبقي للمرأة سبّب اختلافاً بيّناً في غزلها ، وتفصيل ذلك أنّه في المجتمع الأندلسي الطّبقي كانت الشّاعرات ينتمين إلى ثلاث طبقات :

الطّبقة الأرستقراطيّة: الشّواعر اللواتي ينتسبن إلى بيوت المجد والسّلطان كأمّ الكرم بنت صمادح وولاّدة.

الطّبقة الوسطى : أو الطّبقة العامّة وأغلب الشّواعر منهنّ ؛ نحو : مهجة وحمدونة وحفصة وقسمونة ونزهون ، وكلّهنّ حرائر .

طبقة القيان : تمثّل طبقة الجواري المغنّيّات ، ومنهنّ العبّادية جارية المعتضد ، وجارية إبراهيم بن الحجّاج، وأنس القلوب . وفي هذه الطّبقات كان غزل الحرائر أكثر جرأة وأوفر إباحيّة ومجوناً من غزل الجواري ، وعلى سبيل المثال :

---

[1] التّفاعل الاجتماعي وأثره في نهضة الشّعر النّسوي الأندلسي ، د. وائل أبو صالح ، جامعة النّجاح ، فلسطين ، مقال من مؤتمر كليّة الآداب واللغات الدّولي الثّالث ، 24-26 آذار ، 2015م ، ص45 ، books.google.com .

[2] شاعرات الأندلس وأثر البيئة في شعرهنّ ، أسماء مروان طه أحمد ، آلاء بابكر عبد السّلام بابكر ، إلهام عبد الوهاب القاسم محمّد أحمد ، تغريد حمدنا لله المأمون صديق ، إشراف : د. بشير محمّد بشير ، جامعة السّودان للعلوم والتّكنولوجيا – كليّة التّربية – قسم اللغات – شعبة اللغة العربيّة ، 2017م ، ص10 .

[3] النّساء الشّاعرات في الأدب العربي ، مهدي ممتحن وشمس واقف زادة وحسن خانجاني ، دراسات في الأدب المعاصر ، السنة الخامسة ، شتاء1392 هـ ، العدد العشرون ، ص14 .

[4] ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط5 ، 1969م ، ج3 ، ص257 .

[5] طوق الحمامة ، ابن حزم ، باب قبح المعصية ، ص153 .

لم يعرف عن الجواري غزل بالمؤنّث كما عرف عن الحرائر ، وسبب ذلك أنّ الحرائر كنّ يتمتّعن بحريّة لم تكن تعرفها المرأة الأندلسيّة من قبل [1] .

إنّه غزل الشّاعرات الأندلسيّات يتّجه اتّجاهين ، الأوّل : الاتّجاه العفيف (العذري المحافظ) الذي يتّسم بالعفّة واستقامة المعاني .

والثّاني : الاتّجاه الإباحي (الحسّي ، غير المحافظ) الذي يتّسم بالمجون والشّهوة ؛ وهذا مدار بحثنا .

لم نعهد هذا الاتجاه لدى الشّاعرات من قبل ، وهذا (الاتّجاه المحدث) يتمثّل في حدّة المجون

والمجاهرة بالمعاصي ، والاستخفاف بالأخلاق والإسفاف في ذكر العورات ، ووصف اللقاء في الخلوات ، والتّغزّل بالحبيب غزلاً مكشوفاً يتّسم بالجرأة والصّراحة .

إنّ في هذا النّوع من غزل الأندلسيّات ، تصير المرأة عاشقة والرّجل معشوقاً ، وتتغلّب على غزلها روح الإباحيّة والمجون .. وهذا الأمر يعبّر أصدق تعبير عن التّهتّك المزري الذي بلغه المجتمع الأندلسي في ذلك الوقت [2] . وفي ذلك قول (حفصة بنت حمدون) ، من الكامل المجزوء :

يا وحشتي لأحبّتي ... يا وحشةً متماديَهْ

يا ليلةً ودّعتهمْ ... يا ليلةً هي ما هي [3]

والبيتان يشكّلان مغامرةً غزليّة بعيدة عن الغزل العذري ، فالشّاعرة تكشف عن لقائها مع حبيبها ليلاً ، وتصرّح دون خجل عن شوقها إليه [4] ، فهي تترك الخيال مفتوحاً أمام المتلقّي ؛ ليتخيّل ما حدث في تلك الليلة .

ومن اللواتي صرّحن بحبّهن (أنس القلوب) جارية المنصور بن أبي عامر ، فقد تغنّت في حضرة الوزير الكاتب أبي المغيرة بن حزم ، ملمّحة بحبّها له ، فقالت ، من الخفيف :

قدم الليل عند سَيْر النّهارِ ... وبدا البدرُ مثل نصف سوارِ

فكأنّ النّهارَ صفحةُ خدٍّ ... وكأنّ الظّلامَ خطُّ عِذار

وكأنّ الكؤوسَ جامدُ ماءٍ ... وكأنّ المدامَ ذائبُ نارِ

نظري قد جنى عليَّ ذنوباً ... كيف ممّا جنته عيني اعتذاري

يا لقومي تعجّبوا من غزالٍ ... جائرٍ في محبّتي وهو جاري

ليت لو كان لي إليه سبيلٌ ... فأقضّي من حبّه أوطاري [1]

---

[1] **ميّزات الغزل عند الشّاعرات الأندلسيّات في ضوء النّقد النّفسي الحديث ، عبّاس إقبالي – فائزة بسندي ، ص11 .**

[2] **ميّزات الغزل عند الشّاعرات الأندلسيّات في ضوء النّقد النّفسي الحديث ، عبّاس إقبالي ، فائزة بسندي ، ص24 .**

[3] **نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص286 .**

[4] **شاعرات الأندلس من عصر الإمارة إلى نهاية عصر الموحدين ، سهيلة عبريق ، ص234 .**

فقد خاطرت هذه الجارية بحياتها من أجل التّعبير عن مشاعرها ومكنونات قلبها دون حياء أو خجل .
فالشّاعرة تعبّر في أوّل الأمر عن شوقٍ دفين إلى الوصال مع حبيبها ، ولكنّها بعد ذلك تتجرّأ وتفصح في صراحة بالغة عن رغبتها في الوصول إليه ؛ لتطفئ أشواقها التي غدت ناراً مشتعلة تكاد تحرق جسدها ، ولتشبع رغباتها وملذّاتها التي أصبحت حاجة ملحّة لا يرويها إلاّ الحبيب [2] .
ومهما صدر عن (أنس القلوب) من شعر جريء في معناه ، فإنّه يبقى مألوفاً ، ولن تلام عليه ، ولن يؤخذ عليها ؛ لأنّها في نهاية المطاف تبقى أمة ، وهي تعدّ في مرتبة أدنى من مراتب الحرائر من ناحية العرض والشّرف والحسب والنّسب والسّمعة . ولكن المأخذ والكلام والنّقد يكون للحرائر اللواتي ينبغي أن تغمرهنّ الفضيلة والاحتشام في القول والفعل، لا الجرأة والتّصريح بالحبّ والفحش كما فعلت (أمّ الكرم بنت المعتصم بن صمادح)[3] ، التي عرفت بأنّها أكثر شاعرات زمانها جرأة على الغزل ، وغزلها كان بفتاها المشهور بالسّمّار ،
الذي هامت به وجداً وعشقاً [4] . ونراها تصرّح بعشقها ، مطّرحة معاني الكبرياء ، فتقول ، من السّريع :

يا معشرَ النّاسِ ألا فاعجبوا ممّا جنته لوعةُ الحبِّ

لولاهُ لم يَنْزلْ ببدرِ الدُّجى من أُفْقِهِ العُلويِّ للتُّربِ

حسبي بمن أهواهُ لوْ أنّه فارقني تابَعَهُ قلبي [5]

ولعلّ هذه الصّرخة الجريئة دليلٌ على أنّ الأميرة لم تقوَ على مقاومة الحبّ ، ولم تصبر على تحمّل اللوعة والاشتياق ، فقلبها رفض كلّ شيء إلاّ الحبّ ، ورضي بكلّ شيء إلاّ بفقدان الحبيب ، ولعلّ هذا ما دفعها ثانيةً للقول وبجرأة لا متناهية ، من الطّويل :

ألا ليتَ شعري هل سبيلٌ لَخلْوةٍ يُنزَّه عنها سمعُ كلِّ مراقبِ

ويا عجباً أشتاقُ خَلْوَةَ من غدا ومثواه ما بين الحشَا والتّرائبِ [6]

---

[1] **نفح الطّيب ، المقّري ، ج1 ، ص617 .**
[2] **صورة الإنسان في الشّعر النّسوي الأندلسي ، رسالة ماجستير ، بشرى بدر إبراهيم ، إشراف : أ.د. فيروز الموسى ، جامعة البعث ، 2009م ، ص106 .**
[3] **انظر في ترجمتها: – المُغرب في حُلى المغرب، ابن سعيد ، ج2 ، ص202–203 ، – نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص170 . ، – نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، للإمام : جلال الدّين السّيوطي ، ت : عبد اللطيف عاشور ، مكتبة القرآن للطّبع والنّشر والتّوزيع ، القاهرة – مصر ، ص25–26 .**
[4] **صورة الإنسان في الشّعر النّسوي الأندلسي ، بشرى بدر إبراهيم ، ص107 .**
[5] **المغرب في حُلى المغرب ، ابن سعيد ، ج2 ، ص202–203 . ، نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص170 ، نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص25 .**
[6] **المغرب في حُلى المغرب ، ابن سعيد ، ج2 ، ص203 .**

فنجد أنّ الشّوق يلحّ على الشّاعرة ، ويكويها ألم الجوى ، فتطلب خلوةً بحبيبها ؛ كي تطفئ لظى قلبها ، ولهيب أشواقها ، ولكنّها تتعجّب من نفسها كيف تشتاق خلوة بالحبيب الذي غدا قلبها مثواه .

لم تكن أم الكرم الوحيدة في التّعبير عن مشاعرها بجرأة بل نجد أنّ عدد هؤلاء الشّاعرات الإباحيّات آخذٌ بالازدياد ، ومعانيهنّ العشقيّة تزداد جرأة وصراحة . ونجد أنفسنا أمام ولاّدة [1] صاحبة المنتدى الأدبي، والشّاعرة الماجنة التي أوجدت إلى القول فيها السّبيل؛ بقلّة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذّاتها .

وتعدّ (ولاّدة) نموذجاً للنشاط الأدبي النّسائي ، وتحرّر المرأة في المجتمع الأندلسي ، فقد فتحت صالونها الأدبي في قرطبة في القرن الحادي عشر الميلادي بينما عرفت فرنسا هذه الصّالونات لأوّل مرّة في القرن السّابع عشر ، فاجتمع في ندواتها من معاصريها شعراء وأدباء ووزراء من الرّجال والنّساء ، وكانت تستقبل الجميع ببشاشة ولطف فيعجب بها الرّواد ، ويتمنّى كلّ واحد منهم أن تكون له وحده [2] .

وكانت جريئة في القول والسّلوك ، تجهر بمكنوناتها ولذّاتها ، وتصوّر مغامراتها الليليّة مع عشيقها ابن زيدون بأسلوب يحاكي أساليب الرّجال إباحيّة [3] ، فها هي تضرب موعداً لابن زيدون ، متجاوزةً دافع التّمنّع في الأنثى ، فتقول ، من الطّويل :

ترقّب إذا جنّ الظّلامُ زيارتي فإنّي رأيْتُ الليلَ أكتمَ للسّرّ

وبي منك ما لو كان بالشّمسِ لم تلحْ وبالبدرِ لم يطلعْ وبالنّجمِ لم يسْرِ[4]

فلذلك عدّها الدّارسون حالة استثنائيّة مفاجئة في الثّقافة العربيّة ، وهي تمثّل حالة من العصيان تمرّدت فيها الأنثى على سلطة القيم الذّكوريّة التي لا تتيح لها أن تنطلق منطلقاً حرّاً في فضاء البوح الصّريح عن اختلاجات الجسد برغائبه وأشواقه . وقد حار فيها معاصروها فمنهم من وصفها بالعفاف كابن بسّام الذي يصفها بـ " طهارة الأثواب " [5] .

والمقّري الذي ذكر أنّها " كانت مشهورة بالصّيانة والعفاف " [6] ، ثمّ نعتوها بالفحش والاستهتار كابن بسّام الذي شكّك بعفافها وطهارتها بعد أن وصفها بـ" طهارة الأثواب " فقال فيها : " ويتهالك أفراد الشّعراء والكتّاب على حلاوة عشرتها ، إلى سهولة حجابها ، وكثرة منتابها ، .. على أنّها – سمح الله لها ، وتغمّد زللها – اطّرحت التّحصيل ، وأوجدت إلى القول فيها السّبيل بقلّة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذّاتها " [7] .

---

[1] انظر في ترجمتها: – الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسّام الشّنتريني، ت : د. إحسان عبّاس ، دار الثّقافة ، بيروت – لبنان ، 1997م ، القسم الأوّل ، المجلّد الأوّل ، ص429–432 ، – نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص205–211 . – نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص87–92 .

[2] النّساء الشّاعرات في الأدب العربي ، مهدي ممتحن و..... ، ص10 .

[3] الإباحيّة في أدب النّساء العربيّات ، نعيم إيليا ، مصر المدينة ، www.civic Egypt . org

[4] الذّخيرة ، ابن بسّام ، القسم الأوّل ، المجلّد الأوّل ، ص430 ، – نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص206 .

[5] الذّخيرة ، ابن بسّام ، القسم الأوّل ، المجلّد الأوّل ، ص429 .

[6] نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص205 .

[7] الذّخيرة ، ابن بسّام ، القسم الأوّل ، المجلّد الأوّل ، ص429 .

ولو كانت على نصيب من العفاف لما تجرّأ صاحبها ابن زيدون على تسجيل كلّ ما جرى له معها في ليلة زاهرة حلوة عذبة ، في قطعةٍ نثريّةٍ أثبتها ابن بسّام [1] : ونص القطعة يبتدئ بقول ابن زيدون : " كنت في أيّام الشّباب ، وغمرة التّصاب ، هائماً بغادةٍ ، تدعى ولاّدة ، .... فلمّا طوى النّهار كافوره ، ونشر الليل عنبره ، أقبلت بقدّ كالقضيب ، وردفٍ كالكثيب ... وبتنا بليلةٍ نجني أقحوان الثّغور ، ونقطف رمّان الصّدور ، فلمّا انفصلت عنها صباحاً ... " [2] .

لا تخفى الإباحيّة السّافرة ، واللقاء الماجن ، والحبّ المتهتّك في قوله : " وبتنا بليلةٍ نجني أقحوان الثّغور ، ونقطف رمّان الصّدور ... " . فقد كان الاتّجاه الغالب على الحبّ ومفهومه اتّجاهاً حسّيّاً مريضاً تحرّكه الشّهوة ، ويتّسم بالإسراف في المجون والمجاهرة باللذّات ، فالشّاعرة (نزهون بنت الكلاعي الغرناطيّة) [3] أعطت الحريّة الكاملة لنفسها لتتغزّل بالرّجل دون حشمة أو حياء ؛ فإنّها كانت جريئة ماجنة في غزلها ، ومن شعرها الغزلي ما تصف فيه ليلةً قضتها مع الحبيب ، وقد غفلت أعن الرّقباء عنهما ، فتتحدّث فيه حديثاً مكشوفاً عن العشق لم نألف مثله بإظهار العواطف ، وإطلاق العنان ، تقول ، من البسيط :

لله درّ الليالي ما أُحيسنها وما أُحيسن منها ليلةَ الأحدِ

لو كنْتَ حاضرنا فيها وقد غفلَتْ عينُ الرّقيبِ فلم تنظرْ إلى أحدِ

أبصرَتْ شمسَ الضّحى في ساعديْ قمرٍ بل ريمَ خازمةٍ في ساعدَي أسدِ [4]

الشّاعرة تصف ليلة الأحد التي قضتها مع حبيبها ، وكانا بعيدين عن أعين الرّقباء ، وقد أبدعت في بيتها الثّالث إذ رسمت صورة مشرقة جميلة ، وأجادت في توزيع ألوانها وأضوائها ومشاهدها فصوّرت لنا مشهداً غراميّاً عن حبيبة بين يدي حبيبها ، فأبرزت فيها مفاتنها إلى جانب صفات الحبيب .

لقد أظهرت الشّواعر إباحيّة عاطفيّة سرت بينهنّ ، واكتنفت مشاعرهنّ فكان للمجون نصيب من عاطفتهنّ ، الإباحيّة التي تعني التّعبير عن العلاقة الجنسيّة بلفظ صريح اطّرح الكناية ، وبتفصيل وتدقيق لا يحابيان ذوق المتحفّظين ، ولا يحتاطان لأنفسهما من غضبة الكوفيين .

ونرى شاعرتنا (حفصة بنت الحاج الركونيّة) [5] فاقت سابقتيها في الجرأة ، فأطلقت لحبيبها أبي جعفر حبل الهوى في جرأة ، وتطلب منه زيارتها ، فإن لم يفعل جاءته زائرة ، وقد أثارت فيه شوقاً ولهفة إليها بما قدّمته من أوصاف جمالها الجسدي .. تقول ، من الوافر :

---

[1] **صورة الإنسان في الشّعر النّسوي الأندلسي ، بشرى بدر إبراهيم ، ص109 .**

[2] **الذّخيرة ، ابن بسّام ، القسم الأوّل ، المجلّد الأوّل ، ص430 .**

[3] **انظر في ترجمتها : – المُغرب في حُلى المغرب ، ابن سعيد ، ج2 ، ص121 ، – نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص295–298 . – نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص84–86 .**

[4] **نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص298 .**

[5] **انظر في ترجمتها : – المغرب في حُلى المغرب ، ابن سعيد ، ج2 ، ص138–139، 166 ، – نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص171–172–173–179 . – الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدّين بن الخطيب ، المجلّد الأوّل ، ص491–493 . – نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص40–43 .**

أزورُكَ أم تزورُ فإنّ قلبي إلى ما تشتهي أبداً يميلُ

فثغري موردٌ عذبٌ زلالٌ وفرعُ ذؤابتي ظلٌّ ظليلُ

وقد أمَّلتُ أن تظما وتضحى إذا وافى إليك بي المقيلُ

فعجّل بالجوابِ فما جميلٌ إباؤك عن بثينةَ يا جميلُ [1]

وفي هذا اللون الذي أضحت فيه المرأة عاشقة لا معشوقة ، وذلك بتقديم ألوان من الإغراء ، نرى جرأة الشّاعرة في الهجوم على معاني العشق ، وصراحة التّعبير عن مشاعرها ، وفي هذه المقطوعة الشّعريّة أبدعت الشّاعرة نسجها ، وأحكمت صياغتها ، وكلّ توضيح يتضاءل أمام هذه الألفاظ الموحية الغنيّة بمعانيها ، البيت الثّالث ضمّنته الشّاعرة لفظتين قرآنيّتين وهما (تظما وتضحى) ﴿ **وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى** ﴾ [2] ، فجعلت الشّاعرة من نفسها فردوساً يلوذ به الحبيب ، فلا ظمأ ولا رمض بل ظلٌّ ظليل .

وما ذلك إلاّ لعلمها بمكانتها ، وما تمثّله للرّجل ، فهي السّكن الذي يأويه .

ولم تكتفِ شاعرتنا العاشقة بهذه الخطوة الجريئة ، وهي تخيّر حبيبها (أزورك أم تزور) بل تردفها بخطوة ثانية أكثر جرأة واندفاعاً لقد نسيت الشّاعرة في ذروة ثورة عواطفها نسيت أنوثتها وكبرياءها ووقارها ، فذهبت إليه بنفسها زائرة تطرق بابه بجرأة وقد هيّأت بطاقة ضمّنتها أبياتاً شعريّة جميلة تصف فيها مفاتن جسدها وتغريه بنفسها ، محرّضة إيّاه ، طالبة منه الإذن بالدّخول . تقول ، من الخفيف :

زائرٌ قد أتى بجيدِ الغزالِ مُطْلِعٌ تحت جنحِهِ للهلالِ

بلحاظٍ من سحر بابلَ صيغت ورُضابٍ يفوق بنتَ الدّوالي

يفضح الوردَ ما حوى منه خدٌّ وكذا الثّغر فاضحٌ للآلي

ما ترى في دخوله بعد إذنٍ أو تراه لعارضٍ في انفصالِ [3]

ويتجلّى لنا في هذه المقطوعة تغزّل الشّاعرة بنفسها ، إذ تصف جيدها ، وجمال خدّها ، وعذوبة ريقها ، وفي هذا دعوة صريحة لوصال الحبيب ، فالحبّ الحقيقي عند حفصة لا يقوم على الحرمان ، بل هو المشاركة الفعليّة المتبادلة ، ولهذا كانت تغري أبا جعفر كلّما أحسّت بلظى الحبّ قد برد في أحشائه ، وحافظت على استمراريّة الوصال ، وتعاقب اللقاءات ، فالقرب الكثير يبقي الحبّ حيّاً ، والبعد يلفّه في طيّات النّسيان .

---

[1] المغرب في حُلى المغرب ، ابن سعيد ، ج2 ، ص166 . – نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص178 .

[2] سورة طه ، الآية 119 .

[3] المغرب في حُلى المغرب ، ابن سعيد ، ج2 ، ص139 ، – نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص179 .

بل نجدها تتغزل بأبي جعفر تغزّلاً يفوق تغزّل الرّجال بالنّساء ، إذ تقول ، من الطّويل :

ثنائي على تلك الثّنايا لأنّني أقول على علم وأنطق عن خُبرِ

وأنصفها لا أكذبُ اللهَ إنّني رشفْتُ بها ريقاً أرقَّ من الخمر [1]

ونعتقد أنّ الذي ساعدَ على استمراريّة هذه المعاني وانتشارها هو : أوّلاً : تقبّل المجتمع الأندلسي ، وثانياً : انتشارها في القصور بين الخاصّة والعامّة .

فقد مرّ بنا سابقاً نصّ ابن زيدون النّثري الذي يصف فيه ما دار بينه وبين ولاّدة ، وقد ذكره ابن بسّام في الذّخيرة دون أي امتعاض أو حرج ، ومن ذلك أيضاً ، ما قاله ابن زيدون ، معرّضاً بولاّدة وابن عبدوس ، من البسيط :

عيّرتمونا بأن قد صار يخلفنا فيمن نحبّ وما في ذاك من عارِ

أكلٌّ شهيٌّ أصبْنا من أطايبه بعضاً وبعضاً صفحنا عنه للفارِ [2]

كذلك قال أبو جعفر بن سعيد، يروي لنا جمال ليلة قضاها مع من يهوى (حفصة بنت الحاج الرّكونيّة)، من الطّويل :

رعى الله ليلاً لم يَرُح بمذمّم عشيّةَ وارانا بحَوْر مؤمَّل

وقد خفقَتْ من نحو نجدٍ أريجةٌ إذا نَفَحتْ هبّت بريّا القرنْفُلِ

وغرّدَ قمريٌّ على الدّوح وانثنى قضيبٌ من الرّيحانِ من فوق جَدولِ

يُرى الرّوضُ مسروراً بما قد بدا له عناقٌ وضمٌّ وارتشافُ مُقبَّلِ [3]

إنّ التّحرّر بالقول الذي صادفناه في النّصوص الشّعريّة للشّواعر الأندلسيّات لم يكن مجرّد تهويمات شعريّة بل كان متطابقاً – في معظم الأحيان – مع حياتهنّ الواقعيّة ، وممّا يثار عن الشّواعر الأندلسيّات أيضاً ميلهنَّ الواضح نحو الجنسيّة المثليّة ، والتّصريح به دون وازع أخلاقي [4] .

والجنسيّة المثليّة : تعني ميل الرّجل إلى الرّجل ، وميل المرأة إلى بنات جنسها ، والبوح بمشاعرهنَّ وحبّهنّ فتتجاوز حواجز المجتمع وموانعه وهي نتيجة انحلال المجتمع الأندلسي ، ونلاحظ أنّ المفردات المتّصلة بالجنس كثيرة عندهنّ وهذا يدلّ على نزوعهنّ إلى أسلوب التّصريح ، واستخدامهنّ للألفاظ السّوقيّة ، والكلمات الجنسيّة التي لم يتجرّأ الرّجل

---

[1] **نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص173 ، – نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص42 .**

[2] **ديوان ابن زيدون ، ابن زيدون ، ت : يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1994م ، ص136 .**

[3] **نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص177 ، – نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص40 .**

[4] **الشّواعر الأندلسيّات : https:// platform.almanal.com files**

على استخدامها وروايتها .. وإن كنّا سنذكرها في هذا البحث فذلك لأنّنا سنبيّن مدى الصّراحة والإباحيّة في المجتمع الأندلسي ، وحرصاً على الأمانة العلميّة ...

ومن الشّواعر اللواتي تغزّلن بالمؤنّث (حمدونة بنت زيّاد المؤدّب) [1] ، فإنّها تهوى فتاة ، فأثارت عواطفها وهي تستحمّ في النّهر ، فتصف حبّها لها بصورة بصريّةٍ وقد كلفت بجمالها ، قائلة من الوافر :

أباح الدّمع أسراري بوادي ... له للحسن آثارٌ بَوادي

فمن نهر يطوف بكلّ روضٍ ... ومن روضٍ يرفُّ بكلّ وادي

ومن بين الظّباء مهاةُ إنسٍ ... لها لبّي وقد ملكَتْ فؤادي

لها لحظٌ ترقده لأمْر ... وذاك الأمرُ يمنعني رقادي

إذا سدلَتْ ذوائبها عليها ... رأيتَ البدرَ في جنح الدّادي

كأنّ الصّبح ماتَ له شقيقٌ ... ممّن حزن تسربل بالحدادِ [2]

ونجد (مهجة بنت الدّيّاني القرطبيّة) [3] تقول واصفة جمال لحظ وثغر ولاّدة ، من الطّويل :

لئن قد حمى عن ثغرها كلّ حائمٍ ... مما زال يحمي عن مطالبه الثّغرُ

فذلك تحميه القواضبُ والقنا ... وهذا حماه من لواحظها السَّحرُ [4]

كثيرون أولئك الذين يحومون حول ثغرها ، ولكنّها لا تمكّنهم ، وما تزال (الثّغور) على الحدود هي حامية البلاد بالسّيوف القواضب البتّارة ، والقنا والرّماح ، أمّا هي فيحميها سحر عينيها ، إنّها تصرع المحبّين بلحظها الفتّاك ، ومهجة هذه اتّهمت بعلاقتها المريبة بولاّدة التي قيل عنها : إنّها مسترجلة [5] ، واتّهمت بميلها إلى بنات جنسها ، وشبّهت

---

[1] انظر في ترجمتها: – نفح الطّيب، المقّري ، ج4 ، ص287–290 . – نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص45–48 .

[2] نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص288 ، – نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص47 .

[3] انظر في ترجمتها : –المغرب في حُلى المغرب ، ابن سعيد ، ج1 ، ص143 ، – نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص293 ، – نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص81–82 .

[4] –المغرب في حُلى المغرب ، ابن سعيد ، ج1 ، ص143 ، – نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص293 ، – نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص81–82

[5] الشّعر الأندلسي ، إميليوغريسا غومس ، تر : د. حسين مؤنس ، مكتبة النّهضة المصريّة ، القاهرة – مصر ، ص49 . – الشّعر الأندلسي في عصر الطّوائف – ملامحه العامّة وموضوعاته الرّئيسيّة وقيمته التّوثيقيّة ، هنري بيريس ، تر : د. الطّاهر أحمد مكّي ، ص374 .

وشبّهت في ذلك بالشّاعرة الإغريقيّة (ساڤو) [1] ، وهي شاعرة إغريقيّة ولدت في جزيرة ليسبوس في بحر إيجة باليونان ، تزوّجت برجل ، وولدت له طفلة ، ولكنّها فشلت في الحياة الزّوجيّة مع زوجها إذ أصيب بالعجز الجنسي ... فنفرت من الرّجال ، واتّجهت نحو بنات جنسها من العذارى ، إذ قامت بافتتاح (أكاديميّة) لتعليم بنات العائلات الرّاقية فنون الحياة الاجتماعيّة ، التي يجب معرفتها وإجادتها من قبل زوجات المستقبل ، من شعر وغناء ورقص ونقر على الدّف ، ويتّهمها بعض المؤرّخين بأنّها لم تكن تعلّمهنّ ذلك فقط ، وإنّما كانت تعلّمهن ؟أيضاً فنون الحبّ المثلي بين النّساء ، ويستدلّ هؤلاء على صحّة رأيهم بأنّ أشعارها تؤكّد ذلك ، فقد خلّفت مجموعة قصائد شعريّة في تسعة دواوين ، ويركّز شعرها على مدح السّحاق ، ووصفه والشّوق إليه ، وكيف كانت تمارسه مع عشيقتها المفضّلة (آتيس) .

فكما رأينا قد رمى بعض المستشرقين ولاّدة ومهجة بالجنسيّة المثليّة ، ومصدر هؤلاء كتاب (المغرب) لابن سعيد ، الذي أقرّ تعلّق ولاّدة بمهجة ، حين قال : " وكانت تدخل عند ولاّدة بنت المستكفي الشّاعرة ، وكانت من أجمل نساء زمانها ، وأخفّهنّ روحاً ، فعلقت بها ولاّدة ، ولزمت تأديبها ، إلى أن صارت شاعرة " [2] .

وربّما يمكننا أن نلحق بهذا النّوع من الغزل ، تغزّل المرأة بنفسها أو النّرجسيّة كالشّاعرة (قسمونة بنت إسماعيل) [3] فقد فقد كانت جميلة جدّاً، ونظرت في المرآة فرأت جمالها ، وقد بلغت أوان التّزويج ولم تتزوّج، فقالت ، من الطّويل :

أرى روضةً قد حان منها قطافها ولسْتُ أرى جانٍ يمدّ لها يدا

فوا أسفا يمضي الشّبابُ مُضيعاً ويبقى الذي ما إن أسمّيه مفردا [4]

وممّا سبق يمكننا القول : إنّ بعض الشّواعر الأندلسيّات استطعن تحويل دور المرأة من ذات منفعلة إلى ذات فاعلة ، شاركت الرّجل فعل ممارسة الحبّ ، وإنّ البوح بالحبّ ليس حكراً على الرّجال فقد صوّرت شاعراتنا شقاء الحبّ والهوى بشكل لا يكاد يجرؤ عليه الرّجال ، كما أنّ الشّاعرة الأندلسيّة قلبت بحبّها المفاهيم المتعارف عليها ، فبعد أن كانت الطّريدة في قصّة الحبّ ، باتت هي تحثّ الرّجال على الوصال ، وكانت ولاّدة أوّل من نهج هذا المنهج ثمّ تبعتها حفصة الرّكونيّة ، فأحدثتا بذلك انقلاباً خطيراً في عالم المرأة .

ولم تبخل الشّاعرة في غزلها على من تحبّ بما يشتهيه من ضمّ وعناق ، وهذا يندرج تحت الاتّجاه الإباحي ، فقد استخدمت الشّاعرات المعاني الفاحشة معبّرة عن الحياة المبتذلة ، وقد كان غزلهنّ خاضعاً للحياة الاجتماعيّة العامّة ، ومتأثّراً بكلّ ما فيها من التّرف والطّرب .

ومن الأبواب التي خاضتها الشّاعرة الأندلسيّة باب السّخرية والاستهزاء فلم تأنف المرأة الأندلسيّة من الهجاء الفاحش [5] ، ، ولم تكن في هجائها بأقلّ فحشاً وإباحيّة من غزلها ، وكان الباعث على الهجاء عند النّساء إمّا ردّاً على مثله ، وإمّا

---

[1] صافو ، ويكيبيديا : ar.m.Wikipedia.org – أشهر شاعرات الحبّ في بلاد الشّرق والغرب (تراجم ومختارات شعريّة) ، د. إحسان هندي ، وزارة الثّقافة – الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب ، دمشق – سورية ، آفاق ثقافيّة ، العدد 112 آب 2012م ، ص22–39 . تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل جنثالث بالنثيا ، تر: حسين مؤنس ، مكتبة النّهضة المصريّة ، القاهرة – مصر ، ط1 ، 1955م ، ص80–84 .

[2] المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد ، ج1 ، ص143 .

[3] انظر في ترجمتها : – نفح الطّيب ، المقّري ، ج3 ، ص530 ، – نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص74–75 .

[4] نفح الطّيب ، المقّري ، ج3 ، ص530 ، – نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص75 .

[5] صورة المرأة في الشّعر الأندلسي في عصري الطّوائف وبني الأحمر ، عائشة إبراهيم موسى سلامة محسن ، ص161 .

ضيقاً بعمل ، أو بغضة لشخص ، وقد روي شعر مكشوف لبعض الشّاعرات الشّهيرات مليء بأسباب البذاءة وألفاظ السّوقة وأسماء عورات الجنسين على السّواء ... [1] وقد مرّ ذكر ذلك سابقاً .

ومنهنّ (ولاّدة بنت المستكفي) التي لم تكن شاعرة غزلة وحسب ، وإنّما كانت هجّاءة مريرة الهجاء ، وربّما فاقت بعض الهجّائين من الرّجال فضلاً عن النّساء ، وقد أحجمت المصادر الأندلسيّة المغربيّة من إيراد مجموعة من الشّعر لولاّدة وأكثرها في الهجاء – وبخاصّة المقذع منه – وقد شهد بذلك ابن بسّام الذي امتنع بدوره عن إيراده .. [2] . يقول: " وكانت – زعموا – تقرض أبياتاً من الشّعر ، وقد قرأت أشياء منه في بعض التّعاليق ، أضربت عن ذكره ، وطويته بأسره ، لأنّ أكثره هجاء ، وليس له عندي إعادة ولا إبداء ، ولا من كتابي في أرض ولا سماء " [3] .

والغريب في الأمر أنّ صفة الهجاء لم تجرِ مرتبطة باسم ولاّدة أو بشعرها ، فكلّ ما سمع عنها يدخل في باب الغزل والتّغزّل بحبيبها ابن زيدون ، ولكن من يقرأ هجاءها سيصاب بالذّهول والحيرة وسيطلق حكمه عليها بأنّها أهجى من هجا ، ذلك لأنّها تهجو الرّجل الذي قال فيها السّحر – لا الشعر – فولاّدة كانت ابنة لأب أجمع المترجمون لحياته ، أنه كان منقطعاً إلى البطالة ، مجبولاً على الجهالة ، عاطلاً من كلّ حلّة تدلّ على فضله وكان مشتهراً بالضّرب ... أسير الشّهوة ، عاهر الخلوة ... " [4] .

أمّا أمُّها فكانت جارية أو قينة تسمّى بنت سَكرى المورورِيّة ، فهي إسبانيّة الأصل ، وكانت قبل زواجها مغنيّة طرحت الحشمة والوقار ، وهي فوق كلّ هذا وذاك امرأة خبيثة .

ومن هنا نرى أنّ ولاّدة قد نشأت في بيت يتّصف من (النّاحية الاجتماعيّة) بالميل إلى التّحرّر والانطلاق ، والخروج عن حدود الحشمة والوقار ... صحيحٌ أنّ والدها قد اهتمّ بتعليمها وتثقيفها ، فاستقدم لها المؤدّبين ، إلاّ أنّها من جانب آخر تأثّرت بسلوك والدتها – وبخاصّة بعد وفاة والدها – في رفع الحجاب ومخالطة الرّجال ، فلا عجب بعد ذلك إذا ما سمعنا هجاءها الفاحش في حبيب الأمس ابن زيدون [5] .

لقد بلغ هجاء (ولاّدة) من الفحش درجة لا نكاد نصدّقها ، خاصّة وهي شاعرة أميرة ، ينتظر منها الحشمة والحياء والعفّة ... ولكنّ (ولاّدة) قد تجاوزت الحدود في استعمال الشّعر وتسخيره لهواها ونزواتها من خلال استعمالها لألفاظ فيها الكثير من الفحش والبذاءة وقذف بالشّتائم ، وذكر المساوئ لدرجة أنّ بعض أشعارها نجد فيها حذفاً للكلمات البذيئة من بعض المؤلّفات ، وهذا ما جعل أسلوبها في غرض الهجاء أسلوباً سوقيّاً [6] .

تقول ، من الوافر :

ولقّبت المسدّس وهو نعتٌ تفارقك الحياةُ ولا يفارقْ

فلوطيٌّ ومأبونٌ وزانٍ وديوثٌ وقرنان وسارقْ [7]

---

[1] **صورة الإنسان في الشّعر النّسوي الأندلسي ، بشرى بدر إبراهيم ، ص86 .**

[2] **المرجع السّابق نفسه ، ص 87 .**

[3] **الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسّام ، المجلّد الأوّل ، القسم الأوّل ، ص432 .**

[4] **المصدر السّابق نفسه ، ص434 .**

[5] **التّفاعل الاجتماعي وأثره في نهضة الشّعر النّسوي الأندلسي ، د. وائل أبو صالح ، ص49–50 .**

[6] **الشّعر النّسوي في الأندلس – ولاّدة بنت المستكفي نموذجاً ، خديجة قداوي ، ص47–48 .**

[7] **نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص205 ، نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص88 .**

فهي تنعته بأقبح النّعوت ، وتقول ساخرة منه ؛ من السّريع :

إنّ ابنَ! زيدون على فضله يغتابني ظلماً ولا ذنب لي

يلحظني شزراً إذا جئته كأنّني جئت لأخصي علي [1]

وتقول أيضاً هاجيةً له ، من السّريع :

إنّ ابن زيدون على فضله يعشق قضبان السّراويل

ولو أبصر الأير على نخلة صار من الطّير الأبابيل [2]

ولعلّ بذاءة ألفاظ ولاّدة دليل على أنّ غضبها عنيفٌ جدّاً، ولم يقتصر هجاء ولاّدة على ابن زيدون فقط، بل لم يسلم الأصبحي – وهو واحدٌ من المعجبين بولاّدة – من هجائها إذ قالت فيه ، من السّريع :

يا أصبحيُّ اهنأ فكم نعمةٍ جاءتك من ذي العرش ربِّ المنن

قد نلتَ باست ابنك ما لم ينل بفرج بوران أبوها الحسنْ [3]

وكما هجت ولاّدة ابن زديون والأديب الأصبحي ، فقد جاء من يهجوها ، ويثأر لمن هجتهم ، فمن الطّريف أن تمتدّ هذه المعارك الهجائيّة لتصل إلى النّساء ، فقد هجت (مهجة بنت السّياني القرطبيّة) ولاّدة [4] فقد كانت مهجة من أجمل نساء زمانها ، متهافتة على الملذّات مندفعة إلى الشّهوة تحرّكها رغبة عارمة ، وكنت من الخلاعة في القول والفحش في الشّعر ، ما جعلها تذهب في تعبيراتها مذاهب تنال من عفّة قائلتها .

ووقع بينها وبين ولاّدة ما اقتضى أن قالت ، من السّريع :

ولاّدة قد صرْت ولاّدةً من غير بعلٍ فُضِحَ الكاتمُ

حكَتْ لنا مريم لكنّهُ نخلةُ هذي ذكرٌ قائمُ [5]

وقال بعض الأكابر : لو سمع ابن الرّومي هذا ، لأمرَ لها بالتّقديم .

لقد ذكر أكثر النّقّاد والأدباء بأنّ ولاّدة لم تتزوّج في حياتها، وماتت بعد الثّمانين من عمرها وهي عذراء، غير أنّ مهجة السّليطة اللسان، تزعم أنّها ولدت من دون زواج ، فهي تستوحي معاني الهجاء من معنى الاسم ، فمعنى لفظ (ولاّدة)

---

[1] **نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص206 .**

[2] **نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص206 ، نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص89 .**

[3] **نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص206 ، نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص89 .**

[4] **الشّعر الأندلسي في عصر الطّوائف ، اتّجاهاته وخصائصه الفنيّة ، رسالة دكتوراه ، نميري تاج السّرّ أحمد لقمان ، إشراف : أ.د. صالح آدم بيسلو ، جامعة أم درمان الإسلاميّة ، 2005م ، ص76 .**

[5] **نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص293 ، – نزهة الجلساء في أخبار النّساء ، السّيوطي ، ص81 .**

المرأة كثيرة الإنجاب ، وفي هذا إشارة إلى أنّ ولاّدة كانت عاهرة زانية ، حملت وأنجبت الكثير من الأولاد دون دراية من أحد ، ولكنّ مهجة التي كانت مصاحبة لولاّدة كانت تعلم بهذا الأمر ، وتتكتّم عليه ، وهذا الكتمان لم يستمرّ فترة طويلة ؛ لأنّ مهجة قامت بإفشاء السّرّ ، وفضحت ولاّدة بعد أن وقع الشّقاق بينهما [1] .

وتجدر الإشارة إلى أنّ مهجة وولاّدة تناولتا في هجائهما قضيّة العرض ، وهو ما سكت عنه كبار الشّعراء إذ عابه النّقّاد [2] . كما أنّهما كانتا صريحتين في هجائهما ، في حين يرى العلماء أنّ التّعريض في الهجاء أبلغ من التّصريح [3] ، وكأنّ وكأنّ الشّاعرتين قصدتا هذا الأمر لعلمهما بأنّ الهجاء يقصد فيه ما يعلم بأنّ المهجوّ يجزع من ذكره ويتألّم من سمعه [4] . أمّا نزهون القلاعيّة فقد شكّلت لوحدها أهمّ اللوحات الهجائيّة ، فقد هجاها الأعمى المخزومي ، بقوله من الطّويل :

على وجه نزهون من الحسنِ مسحةٌ وتحت الثّياب العارُ لو كان باديا *

قواصد نزهون تواركُ غيرها ومن قصدَ البحرَ استقلَّ السّواقيا [5]

فتثأر نزهون لكرامتها ، فتردّ على المخزومي ، بقولها ، من المجتث :

قُل للوضيعِ مقالا يُتلى إلى حين يُحشرْ

من المدوّر أنشئْ ـت والخرا منه أعطر

حيث البداوةُ أمست في أهلها تتبخترْ

لذلك أمسيت صبّاً بكلّ شيء مدوّر

جازيتُ شعراً بشعرٍ فقل لعمري من أشعر

إن كنتُ في الخلقِ أنثى فإنّ شعري مذكّرْ [6]

وأكّدت نزهون بهذه المقطوعة أنّها قادرة على مضارعة شعر المخزومي بشعر أكثر بذاءة ، فقد عيّرته بأنّه نشأ بين التّيوس والبقر ، وبأنّه لا معرفة هل بمجالس النّغم والنّعيم .

---

[1] صورة الإنسان في الشّعر النّسوي الأندلسي ، بشرى بدر إبراهيم ، ص91 .

[2] في الأدب وفنونه ، علي بو ملحم ، المطبعة العصريّة للطّباعة والنّشر ، صيدا – لبنان ، ص118 .

[3] المرجع السّابق نفسه ، ص118 .

[4] منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجنّي ، ت : محمّد الحبيب ابن خوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1981م ، ص350 .

* بعض المصادر أثبتت : وإن كان قد أمسى من الضّوء عاريا

[5] نفح الطّيب المقّري ، ج4 ، ص296 .

[6] نفح الطّيب ، المقّري ، ج1 ، ص192–193 ، 262 .

وإن كانت معاني المخزومي بذيئة ، فإنّ نزهون أضافت إلى بذاءة المعاني بذاءة الألفاظ أيضاً ، لتتفوّق على المخزومي في السّوقيّة والفحش . ومع ما في المقطوعة من فحش إلاّ أنّ الشّاعرة استهلّتها بتوظيف قرينة لفظيّة (تتلى) ، لتضفي على أبياتها شيئاً من القداسة .

أمّا هجاء حفصة الرّكونيّة فإن لم يكن فيه فحش فإنّ فيه استخداماً لألفاظ سوقيّة نابية ، فمن أبياتها التي كتبتها هي وأبو جعفر يهجوان فيها الشّاعر الكتندي عندما جاءهما زائراً في بستان، فوقع في مطمورة نجاسة، فكتب إليه كلّ واحدٍ بيتاً ، وابتدأ أبو جعفر ، من مجزوء الكامل :

قل للذي خلّصنا منهُ الوقوعُ في الخرا

ارجع كما شاء الخرا يابن الخرا إلى ورا

وإن تعدْ يوماً إلى وصالنا سوف ترى

يا أسقط النّاس ويا أنذلهم بلا مِرا

هذا مدى الدّهر تُلا قي لو أتيت في الكرى

يا لحيةً تشغفُ في الـ خرءِ وتَشْنا العنبرا

لا قرّب الله اجتما عاً بكَ حتّى تُقبرا [1]

ولو تمعّنا في الأبيات التي قالتها لوجدناها مليئة بمعاني الهجاء الفاحش ، وبالصّفات البذيئة التي نعتت بها المهجوّ ، فلم تترك نقيصة إلاّ ألصقتها به ، فقد وصفته بالنّسب القذر والمرتبة الوضيعة الدّنيئة .

ولو قارنّا بين أبيات حفصة وأبيات أبي جعفر لوجدناها أفحش منه ألفاظاً ، وأسلط لساناً ...

هذا ما كانت عليه ولاّدة ومهجة ونزهون وحفصة الرّكونيّة من استخدام للألفاظ النّابية القذرة البذيئة ، واعتماد على الإشارات الجنسيّة كأساس للهجاء ، وكيل للشّتائم والسّباب للمهجوّ ، وهنّ بهذا تفوّقن على الشّعراء الرّجال ، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على مدى تأثّر الشّاعرة الأندلسيّة ببيئتها ، فطابع المجون وروح الفحش شيء موجود لدى النّساء الأندلسيّات ولعلّ كثرة اختلاطهنّ بالرّجال وكثرة مجالس الأنس واللهو ، ورقّة الحضارة ، وقلّة ضوابط الجدّ في ذلك المجتمع كانت وراء ذلك [2] ، هذا ما أوجده التّرف في المتجمع الأندلسي من مفاسد اجتماعيّة ، فالتّرف والنّعمة إذا حصلا لأهل العمران دعاهم إلى مذاهب الحضارة والتّخلّق بعوائدها ، والحضارة في التّفنّن في التّرف ، واستجادة أحواله

[1] نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص175 .

[2] انظر في ذلك : – التّفاعل الاجتماعي وأثره في نهضة الشّعر النّسوي ، أ.د. وائل أبو صالح . ص52 ، – صورة الإنسان في الشّعر النّسوي الأندلسي ، بشرى بدر إبراهيم ، ص100–101 .

والتّكلّف بالصّنائع التي توثّق من أصنافه وسائر فنونه .. وإذا بلغ التّأنّق في هذه الأحوال المنزليّة الغاية تبعه طلحة الشّهوات .. [1] .

ويمكننا في الختام أن نوجز بعض ما ميّز شعر المرأة الأندلسيّة :

أهمّ ما يميّز شعر المرأة أنّها لم تتقيّد باتّجاه فنّيّ خاصّ ، إذ أنّها احترمت الاتّجاهات جميعها فكوّنت لشخصيّتها ولشاعريّتها صورة متكاملة [2] .

أمّا فيما يتعلّق بالشّعر الذي أثبتناه فيسير في الاتّجاه المحدث المتمثّل بانتشار المجون ، والمجاهرة بالمعاصي ، والاستخفاف بالأخلاق ، والإسفاف في ذكر العورات خصوصاً في الهجاء .. فوصفت الأعضاء البدنية ولم تكشف عن الرّوح الشّخصيّة بالملاحظة والتّسجيل ، وإن صوّرت المهجوّ أحياناً تصويراً " هزليّاً يدعو إلى الزّراية للضّحك منه" [3]، وهي في هجائها وجدت تشجيعاً من مجتمعها فاستساغه لها وتمادت فيه، فقد قيل: " لكلّ زمان ما يليق به من البيان " [4] وفي غزلها كثيراً ما سايرت وحاكت فيه الرّجال ، ووصفت ساعات اللقاء والخلوات وتغزّلت بالحبيب غزلاً مكشوفاً [5] .

.

اتّسم شعر نساء الأندلس بالعفويّة والبعد عن التّصنّع والتّكلّف فلم تحمّل الشّاعرة الأندلسيّة الألفاظ ما لا تطيق من معانٍ ، فقد عدّت المرأة الشّعر وسيلة من وسائل التّعبير عمّا ملأ نفسها من عاطفة وما جاش به صدرها من عواطف ، ونجدها كذلك قد عبّرت عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصّريحة ، ومن خلال أشعارهنّ نجد أنّ هناك كثيراً من الألفاظ والمفردات قد عبّرت تعبيراً صادقاً عن واقع حياتهنّ إضافة إلى وضوحها وسهولتها ؛ فقد جاءت سهلة صريحة ممزوجة مع الصّرامة والقوّة أحياناً معبّرة عن تطوّر المرأة وبيان مكانتها ، وبدت الألفاظ في مظاهرها المختلفة معبّرة عن تأثير العادات والتّقاليد العربيّة والدّين الإسلامي موسومة بسمات المجتمع الأندلسي ودلّت على ذاتها ومعاناتها وأحاسيسها .

ولقد نقلت لنا ذلك التّعبير بدقّة وقوّة تأثير ، فكان لها أسلوب جميل ، ولمسنا ذلك في أشعارهنّ فطباقهنّ وجناسهنّ لا عناء فيه ، ولا تعقيد ، فهو خالٍ من العقد اللفظيّة التي إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على ثقافةٍ ناضجة بعيدة عن الغرابة ، قريبة من الإلفة والرّقّة والطّرافة .

وقد خلت أشعارهنّ من التّصوّف والزّهد ، ولكن استرفدت ألفاظاً من الدّين والقرآن ، حتّى في أشدّ الأشعار فحشاً .. كهجاء مهجة لولاّدة ، فقد استغلّت قصّة السّيدة العذراء عليها السّلام .. أو هجاء ولاّدة لابن زيدون (الطّير الأبابيل) .

كما دلّت بعضها على تفشّي أمراض خطيرة في المجتمع الأندلسي ، كالشّذوذ ، والشّقاوات ، والسّفه ، والحمق ، ...

وأمّا من حيث الرّقّة والبساطة ، فقد اختارت الشّاعرة الأندلسيّة ما يناسب العواطف من النّاحية الفنيّة ، وبما توحيه من معانٍ ، وصاغتها في بساطة ، وابتعدت في أسلوبها عن الإيجاز المخلّ ، والتّطويل المملّ ، أمّا ما وجدناه عندها من إباحيّة في الألفاظ فهذا مردّه البيئة الأندلسيّة ، ولم يكن مستهجناً عندهم ، إلاّ أنّها تميّزت باختيارها ما يناسبها من الألفاظ ، لتكسب الفن الشّعري لوناً يجلّيه ويوضّح معانيه .

---

[1] تاريخ ابن خلدون ، ابن خلدون ، مؤسسة جمال للطّباعة والنّشر ، بيروت – لبنان ، ج1 ، ص311 .

[2] صورة المرأة في الشّعر الأندلسي في عصري الطّوائف وبني الأحمر ، عائشة إبراهيم موسى سلامة محسن ، ص171 .

[3] من الأدب المقارن ، نجيب العقيقي ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، 1948م ، ص137 .

[4] المرقصات والمطربات ، نور الدّين بن سعيد ، القاهرة – مصر ، ط2 ، 1973م ، ص3 .

[5] صورة المرأة في الشّعر الأندلسي في عصري الطّوائف وبني الأحمر ، عائشة إبراهيم موسى سلامة محسن ، ص171 .

فقد كانت تعبيراتها مرتبطة بالمشاعر ارتباطاً واضحاً ، لذا فقد كانت تعبيراتها انعكاساً لعواطف الأنوثة التي تتميّز بها ، مثل :

أ- **التّعبير عن الغيرة والحسد** : وهي من المشاعر التي تبرز في تعبيرات أنثويّة ، ترى في كلّ شيء حاسداً وراصداً وواشياً ، كما في قول حفصة الرّكونيّة ، تردّ على حبيبها أبي جعفر ، من الطّويل

لعمرُك ما سُرَّ الرّياض بوصلنا ولكنّه أبدى لنا الغلّ والحسَدْ

ولا صفّق النّهرُ ارتياحاً لقربنا ولا غرّد القُمريُّ إلاّ لما وَجَدْ

فما خلْتُ هذا الأفقَ أبدى نجومَه لأمرٍ سوى كيما تكون لنا رصَدْ [1]

أو قولها أيضاً ، معبّرة عن غيرتها الشّديدة على محبوبها ، من الوافر :

أغارُ عليك من عيني وقلبي ومنك ومن زمانك والمكان

ولو أنّي خبأتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني[2]

فالحديث عن أحاسيس الغيرة والحسد تعبيرات أنثويةّ تدلّ على طبيعة المرأة ونفسيتها الباكية الشّاكية ، التي تحسّ بالغيرة إزاء ما قد يعترض حياتها أو يشكّل تهديداً على سعادتها .. فالغيرة عندها قد تجاوزت المعهود، فهي تغار عليه منها ومنه ، ومن الزّمان والمكان .. [3] .

ب- **التّعبير عن الذّات** : بأن تصف المرأة نفسها بالجمال متوسّلة بذكر أوصاف خاصّة بها ، من ثغر وذؤابة ، وجيد ، ولحظ ، وخدّ ، وقدّ ، وغير ذلك من مفاتن الجسد ، مثل قول حفصة الركونيّة :

فثغري موردٌ عذبٌ زلالٌ وفرعُ ذؤابتي ظلّ ظليل

وقولها أيضاً : **زائرٌ قد أتى بجيد الغزال** ... وقد مرّ ذكرهما

ج- ومن التّعبيرات الأنثويّة أيضاً **أسلوب التّصغير** تعبيراً عن الاستحسان والتّعجّب والتّدلّل ، مثل قول نزهون في وصف ليلة الوصل :

للهِ درُّ الليالي ما أحيسنها وما أحيسن منها ليلةَ الأحدِ

د- وقد عبّرت المرأة أيضاً عن مخاوفها ، ومنها :

1- التّعبير عن **الخوف من الواشي والمراقب** ، عند لقاء المحبوب ، في مثل ما قالت ولاّدة : **ترقّب إذا جنّ الظّلام زيارتي .....**

---

[1] **نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص177-178 ، - نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، السّيوطي ، ص40 .**

[2] **نفح الطّيب ، المقّري ، ج4 ، ص176 .**

[3] **الرّؤية الذّاتيّة في شعر المرأة الأندلسيّة ، فوزيّة عبد الله العقيلي ، ص235 .**

أو قول أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح متمنيّة لقاء المحبوب : ألا ليت شعري هل سبيلٌ لخلوةٍ ....

وهذا غيض من فيض ممّا استخدمته المرأة من تعبيرات ، تعكس مشاعر أنثويّة خاصّة بها ، وهي تعبيرات بسيطة في مفرداتها ، وجميلة في تناولها ، مؤديّة للمعنى الذي أرادت المرأة توضيحه أو وصفه .

أمّا من ناحية الأوزان والبحور المستعملة فإنّ الشّاعرات الأندلسيّات قد نظمن على البحور الآتية : الكامل ، الطّويل ، البسيط ، السّريع ، الوافر ، الخفيف ، المجتث ، الرّمل ، المتقارب ، وبنسب متفاوتة وكان غرض الهجاء في الغالب على البحر السّريع ، وغرض الغزل على البحر الطّويل .. كما اجتنبن القوافي الصّعبة الضّيقة ، أمّا الصّور والأخيلة في شعر الشّاعرات ، فهي كبقيّة الشّعراء يستعملن كلمات المعجم تارة على وجه الحقيقة ، وتارة على وجه المجاز [1] وكانت أخيلتهنّ منتزعة أحياناً من الطّبيعة الأندلسيّة الفاتنة بمظهرها : الحسيّة والصّامتة ، وأنّها مستمدّة أحياناً أخرى من مخزونهنّ الثّقافي ، وأنّ جلّ الصّور والأخيلة في أسلوبهنّ منبثق من المدارك الحسيّة ، وكانت حاسّة البصر أنشطها في تشكيل الصّور ، حيث كان إدراكهنّ للمرئيّات واضحاً ودقيقاً ... وكان لحاسّة السّمع بعض الحضور في عمل الخيال ، وكذلك حاسّتي الشّم والذّوق .

الخاتمة :

أصبحت الشّاعرة الأندلسيّة تستطيع البوح بمكنونات ما يعتلج في نفسها دون خوف أو حياء أو خجل ، وقد غلبت روح الإباحيّة والمجون على غزلهنّ ، ممّا يعبّر أصدق تعبير عن الوضع الجديد الذي انتهى إليه المجتمع الأندلسي . كما شاع أيضاً بين شواعر الأندلس (الغزل بالمؤنّث) أو (الجنسيّة المثليّة ، كما عند ولاّدة ، وحمدونة بنت زياد ، وإن كان ما يشاع مجرّد تهويمات شعريّة أو كان على مستوى الواقع ، فإنّ مجرّد المجاهرة بالحديث عنه فيه جرأة غير معهودة حتّى في أيّامنا هذه .

كذلك ظهر بكثرة موضوع الهجاء الذي طرقته المرأة الأندلسيّة الشّاعرة ، وأفحشت فيه ، وتجرّأت على ذكر العورات ، وبالألفاظ البذيئة التي يخجل الرّجل من روايتها ، كما عند ولاّدة ومهجة ونزهون ، وكانت الحرائر أكثر جرأة على طرق موضوع الهجاء والإفحاش فيه ، كما أنّ غزل الحرائر كان أكثر إباحيّة ومجوناً .... .

وهناك موضوع آخر تميّزت به المرأة الأندلسيّة الشّاعرة إذ أباحت لنفسها أن تتغزّل في الرّجل كما يتغزّل الرّجل في المرأة سواء بسواء ، وكان ذلك بسبب الحريّة المبالغ فيها ، أو لنقل بتأثير البيئة الأندلسية الجديدة .. .

---

[1] قراءة في كتاب : الشّعر النّسوي الأندلسي : أغراضه وخصائصه الفنيّة لمؤلّفه : د. سعد بوفلاقة ، كاتب المقال : محمد سيف الإسلام بوفلاقة ، في (أصوات الشّمال) مجلّة عربيّة ثقافيّة اجتماعيّة شاملة ، www.aswat-elchamal.com .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- أمين ، أحمد ، ظهور الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط5 ، 1969م ، ص335 .

2- بالنثيا ، آنخل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسي ، تر : حسين مؤنس ، مكتبة النّهضة المصريّة ، القاهرة – مصر ، ط1 ، 1955م ، ص718 .

3- بو ملحم ، علي ، في الأدب وفنونه ، المطبعة العصريّة للطّباعة والنّشر ، صيدا – لبنان ، ص183.

4- بيريس، هنري، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف (ملامحه وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية) ، تر. د. الطّاهر مكّي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1988 م ، ص500 .

5- ابن حزم ، طوق الحمامة في الإلفة والألاف ، ت: د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط3 ، 1977 م ، ص200.

6- ابن الخطيب لسان الدّين ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ت : محمّد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط2 ، 1973م ، ص615 .

7- ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، مؤسسة جمال للطّباعة والنّشر ، بيروت – لبنان ، ص544 .

8- ابن زيدون ، ديوان ابن زيدون ، ت: د. يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1994م ، ص347 .

9- ابن سعيد، المُغرب في حُلى المغرب، ت: د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط2 ، 1964م ، ج1 : ص467 ،ج2 : ص572 .

10- ابن سعيد، نور الدّين ، المرقصات والمطربات ، القاهرة – مصر ، ط2 ، 1973م ، ص225 .

11- السّيوطي ، جلال الدّين ، نزهة الجلساء في أشعار النّساء ، ت : عبد اللطف عاشور ، مكتبة القرآن للطّبع والنّشر والتّوزيع ، القاهرة – مصر ، ص104 .

12- الشّكعة ، د. مصطفى ، الأدب الأندلسي – موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط5 ، 1981م ، ص720 .

13- الشّنتريني ، ابن بسّام ، الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ت: د. إحسان عباس ، دار الثّقافة ، بيروت – لبنان، 1979م ، المجلد الأول : ص1069 ، المجلد الثاني : ص974 ، المجلد الثالث : 1002 ، المجلد الرابع : ص713 .

14- ضيف، د. أحمد، بلاغة العرب في الأندلس ، دار المعارف للطّباعة والنّشر ، سوسة – تونس ، ط2 ، 1998م ، ص307 .

15- العقيقي ، نجيب ، من الأدب المقارن ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط2 ، 1948م ، ص439 .

16- غومس ، إميليوغريسا ، الشّعر الأندلسي ، تر : د. حسين مؤنس ، مكتبة النّهضة المصريّة ، القاهرة – مصر ، ص207 .

17- القرطاجني ، حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ت: محمد الحبيب بن خوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1981م ، ص474 .

18- المقّري ، نفح الطّيب ، ت: د. إحسان عبّاس ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، 1968م ، ج1 : ص704 ، ج3 : ص638 ، ج4 : ص570 .

19- مكّي، د. الطّاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط3 ، 1981م ، ص424 .

20- هندي ، د. إحسان ، أشهر شاعرات الحبّ في بلاد الشّرق والغرب (تراجم ومختارات شعريّة) ، وزارة الثّقافة، الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب ، دمشق – سورية ، آفاق ثقافية ، العدد 112 ، آب ، 2012 ، ص241 .

المقالات الإلكترونيّة :

21- إقبالي ، عبّاس ، بسندي ، فائزة ، ميّزات الغزل عند الشّاعرات الأندلسيّات في ضوء النّقد النّفسي الحديث ، إضاءات نقديّة – فصليّة محكّمة ، السّنة الخامسة، العدد العشرون ، شتاء كانون الأوّل ، ص9-34 .

22- إيليا ، نعيم ، الإباحيّة في أدب النّساء العربيّات ، مصر المدينة ، www.civicegypt.org .

23- بوفلاقة، محمّد سيف الإسلام ، قراءة في كتاب الشّعر النّسوي الأندلسي ، أغراضه وخصائصه الفنيّة ، لمؤلّفه : د. سعد بوفلاقة ، أصوات الشّمال ، مجلّة عربيّة ثقافيّة اجتماعية شاملة . www.aswat-elhamal.com . لا يوجد صفحات .

24- جرار ، د. صلاح ، شخصيّة المرأة الأندلسيّة الشّاعرة في السّياق الحضاري الأندلسي ، www.alghad.com . محاضرة 5 صفحات .

25- زلوم ، أ. جمانة ، صورة المرأة في الشّعر النّسوي الأندلسي – عصر ملوك الطّوائف أنموذجاً ، جامعة القدس ، فلسطين ، مقال من مؤتمر كليّة الآداب واللغات الدّولي الثّالث ، 24-26 آذار ، 2015م ، books.google.com . ص61-87

26- الشواعر الأندلسيات ، https:// platform.almanal.com files . صفحة واحدة .

27- صافو ، ويكيبيديا ، ar.m.wikipedia.org . صفحة واحدة .

28- أبو صالح د. وائل ، التّفاعل الاجتماعي وأثره في نهضة الشّعر النّسوي الأندلسي ، جامعة النّجاح ، فلسطين ، مقال من مؤتمر كليّة الآداب واللغات الدّولي الثّالث ، 24-26 ، آذار ، 2015م ، ص11-60 . books.google.com

29- عمران ، رحمى ، صورة المرأة في الشّعر الأندلسي في عصر الطّوائف والمرابطين ، د. محمّد أبو ذر خليل ، مجلّة القسم العربي ، جامعة بنجاب ، لاهور – باكستان ، العدد الثّامن عشر ، 2011م ، ص179-198 .

30- ممتحن ، مهدي ، واقف زادة ، شمس ، خانجاني ، حسن ، النّساء الشّاعرات في الأدب العربي ، دراسات في الأدب المعاصر ، السّنة الخامسة ، شتاء العدد العشرون ، 1392هـ ، ص49-66 .

31- الهلباوي ، كمال ، مكانة المرأة في الحضارة الأندلسيّة (2-3) ، بوابة الوطن ، www.elwatannews.com . مقال في بوابة الوطن لا يوجد صفحات .

المخطوطات :

32- إبراهيم ، بشرى بدر ، صورة الإنسان في الشّعر النّسوي الأندلسي ، رسالة ماجستير إشراف أ.د. فيروز الموسى ، جامعة البعث ، 2009م، ص251.

33- شاوش ، وهيبة شعبان ، طوطاح ، أمينة ،المرأة في الأندلس ما بين القرنين (5-6هـ / 11-12م) رسالة ماجستير إشراف : أ. نسيم حسبلاوي ، جامعة اكلي مندا ولحاج ، 2014-2015م، ص115.

34- طه أحمد ، أسماء مروان ، بابكر ، آلاء بابكر عبد السّلام ، أحمد ، إلهام عبد الوهاب القاسم محمد ، صديق ، تغريد حمدنا الله المأمون ، شاعرات الأندلس وأثر البيئة في شعرهن ، إشراف : د. بشير محمّد بشير، جامعة السّودان للعلوم والتّكنولوجيا – كليّة التّربية – قسم اللغات، شعبة اللغة العربيّة، 2017 م، ص89.

35- عبريق ، سهيلة ، شاعرات الأندلس من عصر الإمارة إلى نهاية عصر الموحدين، رسالة دكتوراه إشراف : أ.د. خميس حميدي ، جامعة الجزائر ، 2008-2009م ، ص235.

36- العقيلي ، فوزيّة عبد الله ، الرّؤية الذّاتيّة في شعر المرأة الأندلسيّة ، رسالة ماجستير ، إشراف : أ.د. طه عمران الوادي ، جامعة أم القرى ، مكّة المكرّمة – السّعوديّة ، 2000م، ص610.

37- قداوي ، خديجة ، الشّعر النّسوي في الأندلس – ولاّدة بنت المستكفي نموذجاً، رسالة ماجستير إشراف : د. عبد الرّحمن بغداد ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ، 2015-2016م، ص60.

38- لقمان ، نميري تاج السّر أحمد ، الشّعر الأندلسي في عصر الطّوائف – اتّجاهاته وخصائصه الفنيّة ، رسالة دكتوراه إشراف : أ.د. صالح آدم بيلو ، جامعة أم درمان الإسلاميّة ، 2005م، ص161.

39- محسن ، عائشة إبراهيم موسى سلامة ، صورة المرأة في الشّعر الأندلسي في عصري الطّوائف وبني الأحمر ، رسالة دكتوراه ، إشراف : أ.د. فاروق الطّيّب ، جامعة أم درمان ، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي ، 2007-2008م، ص251.